إعداد الأمة وتهيئتها للقتال
في ضوء سورة البقرة

إعداد : د محمد بن عبدالله الربيعة
عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم
قسم القرآن وعلومه .



المقدمة

الحمد لله الذي جعل كتابه مصدر هداية للأمة، ورسم فيه منهج حياتهم وكمالهم، وأصلي على نبينا محمد الرسول الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن كتاب الله تعالى منهج حياة للأمة في جميع أحوالها، ولا سبيل لتمكين الأمة وعزها إلا بأن تأخذ بهذا المنهج الرباني العظيم الذي رسمه لها رب العالمين تعالى، وقد تضمنت سورة البقرة دستوراً كاملاً للمجتمع المسلم في بنائه وتأسيسه، وإصلاح أحواله واستتباب نظامه وأمنه وقيام دولته[١]، ولذلك فقد استغرقت في نزولها عشر سنين، وركزت على تربية المؤمنين وإعدادهم لحمل أمانة الدين وتبليغه. ومن أعظم ماشتملت عليه إعداد الأمة وتهيئتها للقتال، تمهيداً لتكليفها به، وقد جاء ذلك في مواضع متفرقة من السورة، إلا أنه قد جاء التركيز على جانب إعداد الأمة وتهيئتها للقتال في قصتي بني إسرائيل، وهي قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت، وقصة الذين طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون معه في سبيل الله.

وفي هذا البحث نسلط الضوء على هاتين القصتين لإبراز ماتضمنتاه من مقاصد ودلالات وهدايات ودروس عظيمة للأمة، تعتبر قواعد وأصول للقتال والإعداد له.

والحق أن الأمة بحاجة لمثل هذه الدراسات القرآنية التي تبرز منهج القرآن في إصلاح الأمة وإعدادها، خاصة ونحن نعيش فترة ابتلاء وامتحان مع أعداء الله تعالى، حري بنا أن نرجع لكتاب ربنا فنعتصم به، ونستهدي بهديه فهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، نسأل الله تعالى أن يحيي في نفوس أبناء الأمة تعظيم كتاب ربها، وصدق الرجوع إليه، وأن يهديها به إلى العز والتمكين. وصلى الله على نبينا محمد.

(١) انظر ((في ظلال القرآن)) (٢٨/١).



قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ
عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى
ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ
مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ
هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ
قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ
بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ
وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ
ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ
وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣ – ٢٥٢].



المبحث الأول:

الغرض العام للآيات.

الآيات كلها في التمهيد للأمر بالقتال، وتحريض المؤمنين عليه، وإزالة الخوف في نفوس المؤمنين من الموت والهزيمة بسببه، ورسم المنهج الصحيح له، إعداداً للقتال، ووعداً بتمكين دولة الإسلام وشريعتها ودينها.

قال البيضاوي: (فائدة القصة تشجيع المسلمين، والتعرض للشهادة، وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء) (١).

وقال الزمخشري: (والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثاً على الجهاد، ماأتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله)(٢).

وقد جاء هذا الغرض متمثلاً في عرض تجارب الأمم السابقة مع القتال، في صورتين مهمتين:

الصورة الأولى: تمثل حال أمة فروا من العدو خوفاً من الموت، فلم ينفعهم الخروج والفرار والحذر والجبن، حيث أدركهم قدر الله تعالى الذي خرجوا حذراً منه.

وغرض هذه الصورة تحريض المؤمنين، وتشجيعهم على القتال، وإزالة خوف الموت من نفوسهم، وتحذيرهم من مشابهة بني إسرائيل بالاستسلام واستضعاف النفس، والهرب خوفاً من الموت، وبيان أن الجهاد هو سبيل حياتهم وعزهم، وكمال أمنهم، واستقرار حالهم، وتمكن دولتهم؛ ولهذا جاء الأمر بالقتال والإنفاق فيه بعدها مباشرة بقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

الصورة الثانية: تمثل حال أمة من بني إسرائيل من بعد موسى، ضاع ملكهم، ونهبت مقدساتهم، فاشتاقوا إلى الجهاد وطلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكاً يجتمعون عليه ويقاتلون معه، فبعث الله لهم طالوت ملكاً، فلما أمروا بالقتال ضعف منهم كثير، وتخلوا فوجاً بعد فوج، وصمد فئة قليلة منهم، فبلغوا بصمودهم وصبرهم مرادهم، وحققوا أملهم في الانتصار على عدوهم حتى بلغ ملكهم مبلغاً عظيماً، وحازوا ملك الأرض كلها بملك داود وسليمان الذي هو أعلى مُلك وصلت إليه دولة بني إسرائيل في الأرض. وتخلل ذلك مواقف جزئية هي بمثابة الدروس والعبر تمهيداً لغزوة بدر.

وغرض هذه الصورة تحريض المؤمنين على القتال بعد الأمر به، وإزالة الخوف من الهزيمة في نفوسهم، وغرس مبادئ القتال في نفوسهم، ومن أعظمها الصبر والثبات، وتحذيرهم من التخلي عن القتال بعد الأمر به أو الشروع فيه(٣).

---

(١) أنوار التنزيل١/١٢٩، وانظر: أيضاً الكشاف١/٢٩٠) ، البحر المحيط٢/٥٦٣.

(٢) (الكشاف١/٢٩٠).

(٣) (النبأ العظيم ص٢٥٨).



فحصل من هاتين الصورتين غرض عظيم هو تهيئة نفوس المؤمنين للقتال، وإزالة المخاوف في طريقهم إليه، وتحذيرهم من القعود والنكوص، ورسم منهجه الصحيح من خلال عرض التجارب الواقعية للأمم، وتبشير المؤمنين بالتمكين والنصر على عدوهم وتمكين دولتهم بصبرهم وثباتهم. وهذا مقصد عظيم توجهت إليه السورة لبناء القوة الخارجية للدولة المسلمة الناشئة، بعد أن أكملت بناء القوة الداخلية لها، فما أعظم منهج القرآن في بناء نظام الأمة، وما أكمله.

وهذا التوجيه القرآني العظيم مناسب لحال الأمة في أول نشأتها إثر الهجرة وقبل فتح مكة. وذلك أنها في أول قيامها ضعيفة والعدو من حولها في كثرة ومنعة، فأراد الله تعالى أن يربي المؤمنين ويهيئهم ويقوي نفوسهم، ويبعث الأمل فيهم، ويبشرهم بأن النصر والتمكين لهم مربوط بجهادهم وقتالهم في سبيل الله تعالى، وقد قص عليهم من الأنباء ما فيه بعث لهم على ذلك وتبشير لهم بالفوز والعاقبة. مهما كانوا عليه من ضعف وقلة.

وهذا يؤكد لنا أن الآيات نزلت في أول الإسلام قبيل معركة بدر؛ بل قد تكون تمهيداً لمعركة بدر، ويؤيد ذلك أن عدد جنود طالوت هم عدد جيش المسلمين في بدر، مائة وأربعة عشر رجلاً. ويجلي ذلك التشابه بين هذه الآيات وبين قوله تعالى: في غزوة بدر في سورة الأنفال: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال: ٥].



المبحث الثاني:
الدراسة التحليلية للآيات.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾

غرض الآية ومناسبتها لما قبلها .

غرض الآية التمهيد للقتال بتحريض المؤمنين عليه، وإزالة الخوف في نفوسهم من الموت بسببه. كما تبين.

قال ابن عطية: (جعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد ﷺ بالجهاد، هذا قول الطبري، وهو ظاهر وصف الآية)[1].

ويشهد بأن غرض القصة الحض على الجهاد أنه أعقبها مباشرة بالأمر بالقتال.

قال الشنقيطي: (المقصود من هذه الآية الكريمة تشجيع المؤمنين على القتال..وقد أشار تعالى إلى أن هذا هو مراده بالآية حيث أتبعها بقوله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية) [2].

ومناسبة الآية لما قبلها ظاهرة من جهة أنها ارتبطت بما قبلها في التهيئة للقتال كما تبين من قبل. ولعل ورودها بعد ذكر قضاياهم الاجتماعية وأحوالهم الأسرية الباعثة على القعود والخوف، فبين أن قعودهم وتركهم للجهاد لا يضمن لهم السلامة من الموت، بل إن طلب الموت بالجهاد هو سبيل الحياة كما قيل (اطلب الموت توهب لك الحياة)، وفيه توجيه إلى أن نفرتهم للجهاد هو سبيل حياتهم الحقيقية وطريق عزهم واستقرارهم وتمكنهم.

دلالات الآية وهداياتها :

بالتأمل في الآية نجد أنها تتضمن دلالات وهدايات عظيمة ، تتبين بالمسائل التالية :

المسألة الأولى : غرض قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ ﴾ والمراد بالموت هنا.

غرض الجملة الدلالة على قدرة الله تعالى، ففيها بث خلق الاعتماد على الله تعالى في نفوس المؤمنين، وأن الموت بيد الله تعالى وحده فلا ينجيهم حذر من قدر، وفي هذا بعث للجهاد وإزالة للخوف من الموت في قلوب المؤمنين.

---

(١) ((المحرر الوجيز)) (٣٢٨/١).

(٢) ((أضواء البيان)) (٢٦٠/١).



المسألة الثانية: غرض قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾

غرض الجملة التنبيه على فضل الله على الناس بحياتهم الموجبة لطاعتهم له في جميع أمورهم، ومنها أمر الجهاد الذي فيه تضحية بالنفس في سبيل الله.

وفي ذلك تعريض ببني إسرائيل بعدم الشكر والطاعة لأمره، ولذلك قال: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ تعريضاً وتشنيعاً على بني إسرائيل[١]، وتحذيراً لأمة الإسلام من مشابهتهم، وأمرا لهم بالشكر والامتثال[٢]؛ ولذلك جاء التعبير بلفظ الناس الدال على التعميم.

ويؤيد هذا أن الآيات جاءت في قصة بني إسرائيل وبيان حالهم من فرارهم من الجهاد، تحريضاً لأمة الإسلام عليه، وتحذيراً لهم من مشابهة القوم في الفرار منه؛ ولهذا جاء الأمر بعدها مباشرة بالقتال في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ خطاباً لأمة الإسلام، ويحتمل توجهه للقوم الذين خرجوا بعد إحيائهم كما فسرها ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾**[البقرة: ٢٤٤].**

غرض الآية ومناسبتها لما قبلها .

غرض الآية الأمر بالقتال الذي هو المقصود، بعد التمهيد له والتحذير من الفرار منه.

قال البقاعي: (لما بين سبحانه وتعالى أن الموت لا يصون منه فرار، أمر بالجهاد الذي هو المقصود الأعظم بهذه السياقات)[٣].

دلالات الآية وهداياتها :

بالتأمل في الآية نجد أنها تتضمن دلالات وهدايات عظيمة، تتبين بالمسائل التالية :

المسألة الأولى: وجه مجيء الأمر بالقتال بين القصتين.

جاء الأمر بالقتال الذي هو المقصود الأعظم في الآيات في ثنايا القصتين؛ مع أن الأصل مجيئه في نهاية القصتين لكونه نتيجة لهما؛ إذ المقصود بهما التمهيد له والتحريض عليه؛ لوجهين:

أولاً: أن القصة الأولى جاءت للتحذير من الاستسلام واستضعاف النفس والهروب من العدو خوف الموت، وهذا مناسب أن يكون قبل الأمر بالقتال، والقصة الثانية جاءت للتحذير من التخلي عن

(١) ((نظم الدرر)) (٣/٣٩٧).

(٢) ((المحرر الوجيز)) (٢/٣٢٨).

(٣) ((نظم الدرر)) (٣/٤٠٠).



القتال بعد الأمر به والشروع فيه خوفاً من الهزيمة، فناسب تأخير القصة عن الأمر، فكانت الآية بينهما، تحريضاً وتحذيراً، فما أبلغ بلاغة القرآن، وبراعة أسلوبه تقديماً وتأخيراً(١).

ثانياً: أن هذا الأسلوب القرآني مقصود لكونه أدعى لقبول الأمر والامتثال له، لكونه محفوفاً بالمحرضات عليه، فيكون ما قبله تمهيداً وما بعده تأكيداً، أو إجمالاً قبل وتفصيلاً بعد. وهو أسلوب بديع في تقرير الأمر وتأكيده.

قال صاحب النبأ العظيم في كلام جميل: (من الطرائف البيانية في أسلوب القرآن هنا أن النتيجة فيه تقع من المقدمات موقع المركز من الدائرة، لا موقع الطرف من الخط كما هو شأن الأسلوب التعليمي المشهور؛ ألا ترى هذا الأمر بالقتال في سبيل الله [٢٤٤] قد أحيط من جانبيه كليهما بدعائمه وبواعثه، إجمالاً قبل، وتفصيلاً بعد؟ على أن هذا المنهج الطريف لا يخص هذا الموضع من القرآن...)(٢).

المسألة الثانية: وجه التدرج في الأمر بالقتال وتشريعه في السورة.

في التأمل في آيات القتال في السورة نجد أنها مبثوثة في آيات متفرقة، والمتأمل فيها قد يتساءل عن سر تفريقها والتدرج فيها، والحق أن هذا التفريق مقصود ولا شك، وسر ذلك – والله أعلم – ظاهر من وجوه منها:

أولاً: أن غرض السورة هو إصلاح المجتمع المسلم، وتنظيمه، وتقوية بنائه، وتأسيس نظامه. ولا شك أن من أعظم مقومات هذا البناء وذروة سنامه الجهاد الذي هو سبيل النصر والتمكين للدين وانتشاره في الأرض، فكان مناسباً أن يأتي الأمر به متفرقاً من أول التشريع إلى آخره؛ ليحضر النفوس ويهيئها لذلك ويرسخه في نفوس المؤمنين(٣).

ثانياً: أن القتال من أشد التكاليف على النفوس، والله تعالى – من رحمته بالأمة وتخفيفه عليها – أراد أن يكون تكليفها بالقتال متدرجاً على مراحل حتى لا تتلكأ النفوس عنه، وتستعصي عن حمله كما فعلت الأمم قبلها، فكان من رحمة الله بالأمة التخفيف عليها في ذلك بهذا التدرج في الأمر به، كما كان منهجه في كثير من التشريعات.

---

(١) ((التحرير والتنوير)) (٤٨٠/٢).

(٢) ((النبأ العظيم)) (ص٢٥٩). انظر: تمام كلامه ففيه ضرب للأمثلة، وبيان جميل لذلك.

(٣) وهذا يعطينا درساً تربوياً عظيماً، وهو أن الأمر العظيم ينبغي أن يأتي الأمر به على مراحل تدريجياً، وأن يكرر بصيغ مختلفة حتى يرسخ في النفس، ويتربى عليه، فإذ ما كلف به الإنسان كان سهلاً عليه، وهذا ظاهر في كثير من التشريعات القرآنية كالصلاة التي فرضت ركعتين ثم زيدت، والصوم الذي حف بمؤكدات ومرغبات كثيرة كما مر معنا في آيات الصيام، فما أعظم التربية القرآنية للأمة.



قال الألوسي: (والجهاد لما كان ذروة سنام الدين، وكان من أشق التكاليف حرضهم عليه من طرق شتى، مبتدئاً من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ﴾[البقرة: ١٥٤] منتهياً إلى هذا المقال الكريم، مختتماً بذكر الإنفاق في سبيله للتتميم) (١).

المسألة الثالثة: وجه ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ختام الآية بهذه الجملة لمزيد الحث على القتال والتحذير من تركه، بتذكيرهم بإحاطة علم الله تعالى بجميع المعلومات، ففي الجملة وعد ووعيد.

وجاء بوصف السميع إشعاراً بأنه تعالى سميع لما يتحدثون به في أمر القتال من عزمهم عليه أو خوفهم منه، ولهذا قدمه.

ووصف العليم مناسب من جهة علمه تعالى بما تكنه صدورهم من الخوف، وتسويل النفس للقعود عن القتال (٢).

قال أبو حيان: (أي يسمع ما يقوله المتخلفون عن القتال، والمتبادرون إليه، ويعلم ما انطوت عليه النيات، فيجازي على ذلك) (٣).

وفي الجملة بعث على صدق النية والإخلاص، وتحذير من تبييت النية السيئة(٤).

قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

<u>غرض الآية ومناسبتها لما قبلها .</u>

غرض الآية الحث على النفقة بعد الحث على القتال.

قال القرطبي: (لما أمر الله تعالى بالجهاد والقتال على الحق..حرض على الإنفاق في ذلك، فدخل في هذا الخبر المقاتل في سبيل الله، فإنه يقرض به رجاء الثواب، كما فعل عثمان في جيش العسرة)(٥).

ومناسبة الأمر به بعد الأمر بالجهاد ظاهرة، من جهة أن الإنفاق من أعظم ما يبعث على الجهاد بل هو من أعظم مقوماته؛ ولذا فقد يمنع المجاهد من الخروج ويعقد به انعدام المال، فناسب الحث عليه لضمان تيسير الطريق للمجاهدين(٦).

---

(١) ((روح المعاني)) (١/ ٧٥٥).

(٢) انظر: ((التحرير والتنوير)) (٢/٤٨٠).

(٣) ((البحر المحيط)) (٢/٥٦٥).

(٤) انظر: ((محاسن التأويل)) (١/٥٨٧).

(٥) ((الجامع لأحكام القرآن)) (٢/٣/٢٣٧).

(٦) انظر: ((في ظلال القرآن)) (١/٢٦٥).



دلالات الآية وهداياتها :

بالتأمل في الآية نجد أنها تتضمن دلالات وهدايات عظيمة، تتبين بالمسائل التالية :

المسألة الأولى: وجه تكرر الأمر بالنفقة في السورة واقترانه بآيات القتال:

جاء الأمر بالإنفاق في السورة متكرراً في صور مختلفة كالحديث عن القتال، وذلك لوجوه:

أولاً: أن مقصد السورة الأعظم هو بناء الدولة الإسلامية وتأسيس نظامها، فكان مناسباً أن يكرر الحديث عن النفقة والجهاد؛ لأنهما من أعظم مقومات قيام الدولة الإسلامية وتأسيسها.

ثانياً: أن النفقة من أعظم مقومات الجهاد، فلا يقوم الجهاد إلا بالمال والعدة؛ لذا ارتبط الحث على النفقة بالحث على القتال، ولو تأملنا آيات النفقة في القرآن لرأينا أنها تقترن كثيراً بذكر الجهاد والقتال.

قال البقاعي: (ولما كانت النفقة التي هي من أعظم مقاصد السورة، وأوثق دعائم الجهاد، وأقوى مصدق للإيمان، ومحقق لمبايعة الملك الديان، كرر الحث عليها على وجه أبلغ، تشويقاً مما مضى)(١).

ثالثاً: أن الأمر بالإنفاق في هذه الآية بعد الأمر بالقتال مناسب لحال الصحابة وحث لهم، فالأمر بالقتال مناسب لحال المهاجرين، والأمر بالإنفاق مناسب للأنصار، ويؤكده أن الآية واردة تمهيداً لغزوة بدر.

المسألة الثانية: وجه التعبير بالقرض الحسن عن الأمر بالإنفاق.

التعبير بالقرض الحسن عن النفقة في هذه الآية مناسب للسياق من وجوه:

أولاً: أنه لما كان الغرض من الأمر بالنفقة؛ النفقة في الجهاد في سبيل الله، والنفقة فيه من أعظم النفقات، لتعلقها بالدين ونشره وتمكينه، حث عليها بأعظم أسلوب يحفز النفوس ويهزها ويبعثها لذلك، وهو الإشعار بأن النفقة إقراض لله تعالى، وأي إغراء أعظم من هذا الإغراء.

قال صاحب المنار: (والتعبير عن الإنفاق بالإقراض الذي يشعر بحاجة المستقرض إلى القرض عادة؛ جدير بأن يملك قلب المؤمن ويحيط بشعوره ويستغرق وجدانه.. هذا التعبير بمثابة الهز والزلزال لقلوب المؤمنين)(٢).

ثانياً: الإشعار بأن النفقة والمال المبذول في سبيل الله تعالى مضمونة التعويض والرد، بل إنها مضمونة المضاعفة أضعافاً كثيرة من غير تحديد، وفي هذا تعزيز للنفوس في البذل والنفقة، وترسيخ لحقيقة الإنفاق وأثره(٣).

---

(١) ((نظم الدرر)) (٤٠٢).

(٢) ((تفسير المنار)) (٢/٤٦٦).

(٣) ((التحريروالتنوير)) (٢/٤٨٢).



ووصفه بالحسن للدلالة على المعاني التالية:

١- لزم خلوصه لله وتجرده من شوائب الرياء والأذى.

٢- أن يكون من طيب نفس.

٣- أن يكون طيباً حلالاً.

٤- أن يكون وافراً، فكأن فيه إرشاداً لكثرة البذل في سبيل الله[1].

قال ابن عطية: (**"حسنا"** معناه تطيب فيه النية، ويشبه أيضاً أن تكون إشارة إلى كثرته وجودته)[2].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ **[البقرة: ٢٤٦].**

<u>غرض الآية ومناسبتها لما قبلها .</u>

غرض القصة هو تحريض المؤمنين على القتال بعد الأمر به، وإزالة خوف الهزيمة من نفوسهم، وتحذيرهم من التخلي عن القتال بعد طلبهم إياه والأمر به والشروع فيه، وهي تتضمن غرض إظهار صدق النبي ﷺ بالإخبار عن نبأ بني إسرائيل.

وقد حرر **ابن جرير** هذا الغرض وأبانه بقوله: "وهذه القصة... حض لأهل الإيمان بالله وبرسوله من أصحاب محمد ﷺ على الجهاد في سبيله، وتحذير منه لهم أن يكونوا في التخلف عن نبيهم محمد ﷺعند لقاء العدو على مثل الذي كان عليه الملأ من بني إسرائيل في تخلفهم عن ملكهم طالوت.. وإيثار الدعة والخفض على مباشرة حر الجهاد والقتال في سبيل الله، وشحذ منه لهم على مناجزة أهل الكفر به الحرب، وترك تهيب قتالهم، وإعلام منه تعالى عباده المؤمنين به أن بيده النصر والظفر والخير والشر"[3].

والسياق دال على أن القصة توطئة لغزوة بدر وتهيئة نفوس المؤمنين لها.

قال البقاعي: "وفي هذه القصة توطئة لغزوة بدر، وتدريب لمن كتب عليهم القتال وهو كره لهم، وتأديب لهم وتهذيب" [4].

---

(١) انظر: ((أنوار التنزيل)) (١/ ١٢٨) ، ((تيسير الكريم الرحمن)) (١/ ١٨١).

(٢) ((المحرر الوجيز)) (١/٣٢٩).

(٣) ((جامع البيان)) (٢/٦٢٠) مختصراً.

(٤) ((نظم الدرر)) (٣/٤٢٥).



ويؤكد ذلك أن في القصتين شبهاً من حيث العدد، فإن عدة أصحاب طالوت عدة أصحاب الرسول ﷺ في بدر، كما أخرج البخاري عن البراء قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث: (أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة) (١).

دلالات الآية وهداياتها :

بالتأمل في الآية نجد أنها تتضمن دلالات وهدايات عظيمة ، تتبين بالمسائل التالية :

المسألة الأولى: وجه قوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ ﴾ ودلالاته .

الجملة فيها دلالة على أن زمن أصحاب القصة بعد موسى، وفي هذا إشارة إلى أنهم أضاعوا زمن موسى بالاختلاف عليه، وعصيانه بقولهم: ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾[المائدة٢٤]، وإشارة أيضاً إلى أن ما وقع لهم من ضياع ملكهم وتشتت أمرهم وغلبة عدوهم كان بعد اختلافهم على موسى، وفي هذا تحريض لأمة الإسلام باغتنام وجود نبيهم بينهم، وتحذير لهم من الاختلاف عليه(٢).

المسألة الثانية: وجه قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ﴾ دون تعيين النبي، وفائدة الجملة:

قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ﴾ دون تعيين النبي(٣) للإشارة إلى أن محل العبرة كونهم طلبوا ذلك من نبيهم، وهو أشد حجة وأبلغ عبرة، وأنسب للغرض المقصود وهو تحذير المؤمنين من مشابهتهم بطلبهم من نبيهم القتال ثم النكوص عنه، أو طلب نبيهم منهم القتال وتخليهم عنه.

وفي الآية أصول من أصول الحرب ودروس مهمة للأمة منها:

أولاً: توجيه المؤمنين إلى الرجوع للنبي ﷺ في شأنهم كلهم، واستشارته مع عدم الخروج عن طاعته، وفيه أيضاً إرشاد للأمة أن يكون مرجعها في ملماتها وأزماتها هم العلماء وأهل الدين، فإنهم أعلم بشؤون الأمة ومصالحها كما قال تعالى: **﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٣].**

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٧/٤) ح(٣٧٤١).

(٢) ((التحرير والتنوير)) (٤٨٥/٢).

(٣) وقد اختلف المفسرون في اسم النبي المذكور، والأكثر على أنه شمويل، ولا فائدة من معرفة اسمه في الغرض الذي وردت من أجل القصة.



ثانياً: أن أهل الرأي والعقد، وهم أهل العلم والديانة، هم أهل القرار في أمور الأمة الكبيرة، ومنها اختيار القائد أو الأمير، ويشهد لها رجوع بني إسرائيل إلى نبيهم في اختيار الملك وطلبهم إياه ذلك.

المسألة الثالثة: وجه قول نبيهم ﴿ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ﴾ وفائدته.

الاستفهام في الجملة تقريري وتحذيري، والغرض منه توثيق الأمر منهم؛ إذ إنهم أهل نكث وغدر وقلة وفاء [١]، وفيه إشعار للمؤمنين بألا يطلبوا القتال ويسألوه إلا وهم على يقين من أنفسهم وعزيمة عليه واستعداد له؛ ولهذا جاء النهي صريحاً عن طلب القتال كما قال ﷺ: "**لاتتمنوا لقاء العدو،واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا**"[٢]، وإنما نهوا عن ذلك خشية أن يقع منهم التراجع والنكوص، فيستوجب لهم الذنب و العقوبة.

قال ابن عاشور: "والمقصود من هذا الكلام التحريض؛ لأن ذا الهمة يأنف من نسبته إلى التقصير، فإذا سجل ذلك عليه قبل وجود دواعيه كان على حذر من وقوعه في المستقبل**"[٣].**

وقد أكدوا إنكارهم لما يحملهم على تركهم للقتال بقولهم: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ ﴾ وتضمنت الجملة مؤكدات منها: العطف على كلام نبيهم؛ إذ الأصل أن يكون بدون واو العطف، والاستفهام التعجبي، وأنَّ الناصبة المؤكدة.

وفي الجملة أصل عظيم من أصول الحرب ودرس مهم للأمة، وهو ألا تقدم الأمة على القتال أو تطلبه إلا وهي على استعداد تام، وتهيئة للنفوس على الصبر والتحمل، واستحضار للشدائد والمكاره، ودراسة للعواقب. وليس الأمر منوطاً بالتمني والرغبة الجامحة لقتال الأعداء.

كما أن فيها أصلاً من أصول القيادة، وهو أن القائد يجب أن يتوثق من نفوس الجند، ومدى استعدادهم وصبرهم، وأن طلبهم ليس دليلاً على كمال استعدادهم ومدى صدقهم[٤].

المسألة الرابعة: وجه ذكر الإخراج من الديار في قوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا ﴾ ووجه تخصيص الأبناء، ودلالات الجملة.

ذكر الإخراج لتبرير طلبهم للقتال وعدم تركهم له حين يؤمروا به.

---

(١) انظر: ((المحرر الوجيز)) (٦١٣/١).

(٢) أخرجه البخاري ١٠٨٢/٣ برقم ٢٨٠٤ ومسلم ١٣٦٢/٣ برقم ١٧٤٢

(٣) ((التحرير والتنوير)) (٤٨٥/٢).

(٤) وهو درس تربوي عظيم، للمربين والآباء، ألا يغريهم طلب المتربين ورغبتهم وحماسهم لأمر من الأمور فيه مشقة وكلفة، فيبنون على مجرد طلبهم؛ وإنما لابد من التوثق منهم، واختبار صدقهم.



وتخصيص الأبناء فيه مزيد تقوية لأسباب القتال، وهو دال على أن جالوت ومن معه من العمالقة قد سبوا أولادهم، وأسروهم[1].

والجملة فيها تحريض ظاهر للمؤمنين على القتال من جهة تذكيرهم بما وقع لهم من الضيم من المشركين بإخراجهم من ديارهم وأموالهم؛ ولذلك نص في الآية على الإخراج من الديار، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ** ﴾**[النساء ٧٥]**[2].

وفي الجملة دلالة على أن الأمم إذا اعتدى عليها، وأوقع الأعداء بها، فهضموا حقوقها، فإن ذلك يبعث على التفكير والنهوض لدفع الضيم ومجاهدة العدو. كما يبعثها ذلك على الرجوع إلى أهل الدين والعلماء فيها، وتتوجه إلى البحث عن زعيم وقائد تجتمع عليه كلمتها وترتفع به رايتها، وما أحوجنا والله لهذه القواعد والتوجيهات في زماننا الحاضر، فإن الأمة قد ذاقت الضيم وأوقع العدو فيها أشد الاعتداء.

المسألة الخامسة : وجه قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟** ﴾ الجملة تتضمن أصل الغرض في الآية، وهو تحذير المؤمنين من مشابهة القوم بالنكوص عن القتال بعد الأمر به أو الشروع فيه.

قال ابن عاشور: "الجملة هي محل العبرة والموعظة لتحذير المسلمين من حال هؤلاء أن يتولوا عن القتال بعد أن أخرجهم المشركون من ديارهم وأبنائهم، وبعد أن تمنوا قتال عدوهم، وفرضه الله عليهم" [3].

والجملة تتضمن قواعد منهجية للأمة، منها:

أولاً: أن الأمة لا تطلب الجهاد إلا وهي متهيئة لذلك، قادرة على مواجهة العدو

ثانياً: أن الأمة إذا لم تكن مهيأة للقتال فلن تستطيع الصمود للشدائد ومواجهة العدو، كأن تكون متلبسة بالترف والنعم لا تتحمل الشدائد معه؛ ولهذا جاء النهي عن تمني لقاء العدو.

قال ابن عطية في كلام نفيس يمثل واقعنا اليوم: "وهذا شأن الأمم المتنعمة المائلة إلى الدعة، تتمنى الحرب أوقات الأنفة، فإذا حضرت الحرب كعت وانقادت لطبعها، وعن هذا المعنى نهى النبي ﷺ بقوله "**لاتتمنوا لقاء العدو**"" [4].

ثالثاً: تحذير الأمة من التولي عن القتال بعد الأمر به والشروع فيه.

---

(١) انظر: ((إرشاد العقل السليم)) (٢٧٩/١).

(٢) انظر:((التحرير والتنوير)) (٢/ ٤٨٧).

(٣) ((البحر المحيط)) (٥٧٢/٢).

(٤) ((المحرر الوجيز)) (٣٣١/١) ، وانظر: أيضاً ((البحر المحيط)) (٥٧٢/٢).



المسألة السادسة : وجه ختام الآية بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

ختام الآية بالجملة ووصف الفعل بالظلم؛ فيه وعيد على التولي عن القتال وترك الجهاد (١). وفي ذلك مبالغة في تحذير المؤمنين منه، وزيادة بعث لهم على الجهاد.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ **[البقرة: ٢٤٧].**

غرض الآية ومناسبتها لما قبلها .

غرض الآية هو بيان وتفصيل حالهم مع نبيهم في تعيين ملكهم، واختلافهم عليه فيه. وفيه تحذير للمؤمنين من الاختلاف على نبيهم فيما يأمرهم به أويُأمِّر عليهم في القتال.

قال أبو السعود: (﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الأقوال والأفعال إثر الإشارة الإجمالية إلى مصير حالهم)(٢).

وفي الآية إرشاد لأصل من أصول الحرب وسياسة الأمة، وهو الأوصاف التي ينبغي أن يكون عليها قادة الحروب وساسة الأمم، وهي أصالة الرأي وقوة البدن.

دلالات الآية وهداياتها :

بالتأمل في الآية نجد أنها تتضمن دلالات وهدايات عظيمة تتعلق بالغرض العام للآيات ، تتبين بالمسائل التالية :

المسألة الأولى: المراد بطالوت ، ووجه اختياره من غير سبط الملوك واصطفائه من عامة الناس.

طالوت الظاهر أنه مأخوذ من الطول، وصف به مبالغة في طول إقامته(٣)، وإنما جعله لقباً له في القرآن للإشارة إلى الصفة التي أوحى الله بها إلى النبي أن يختاره عليها، وهي أنه أطول القوم ليكون مناظراً لحال جالوت وقومه العمالقة(٤)، ويؤيده أنه أشار بعد ذلك إلى أن الله أعطاه بسطة في الجسم. واصطفاء طالوت لهم ملكاً عليهم، وليس هو من سبط ملوكهم بل من عامتهم لأمرين:

---

(١) انظر: ((أنوار التنزيل)) (١٣١/١).

(٢) ((إرشاد العقل السليم)) (٢٧٩/١).

(٣) انظر: ((إرشاد العقل السليم)) (٢٧٩/١) ، ((التحرير والتنوير)) (٤٨٩/٢).

(٤) انظر: ((التحرير والتنوير)) (٤٨٩/٢).



أولاً: أن يكون حاله متوسطاً بين القوم، فيعدل فيهم، ويكون قريباً منهم، وتبقى الشورى بينهم، ولو كان الملك من سادتهم، لطغى عليهم واستعبدهم، واستبد بالأمر دونهم.

ثانياً: أن يكون من أقرب الناس للخير، ولو كان من علية القوم لكان في الغالب بعيداً عن الخير لارتباط العلو بالاستعلاء[١].

وفي هذا إشارة إلى أصول القيادة وسياسة الدولة، وهي:

أولاً: تقديم اعتبار الصلاح والديانة والعلم والقوة على اعتبار النسب والمال في اختيار القائد.

ثانياً: أن يتوفر فيه شروط القيادة وهي الديانة والعلم والقوة، كما دل عليها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ** ﴾

ثالثاً: أن يكون القائد من أوسط الناس حالاً، وأن يكون قريباً منهم، قريباً إلى الخير، لئلا يطغى أو يتعالى أو يتعاظم عليهم.

المسألة الثانية: وجه اعتراضهم عليه بقولهم: ﴿ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾.

وجه اعتراضهم أنهم نظروا إلى اعتباراتهم وعاداتهم، وهي أنه ليس من أهل الملك عندهم؛ وذلك أن الملك في سبط من أسباطهم [٢]؛ ولأنه فقير ليس من أغنيائهم، ورجل من عامتهم لا من سادتهم، ولم ينظروا إلى أن الله هو الذي اصطفاه عليهم كما قال نبيهم: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ** ﴾[٣].

وفي الجملة دلالة على أن الأمم بغير العلم والدين تنحصر اعتباراتها في تفضيل الناس بالملك والقيادة والرياسة على اعتبار علو النسب وسعة المال والثروة.

والآية على هذا تربية للمؤمنين، وتوجيه لهم بعدم مشابهة القوم في تقديم اعتباراتهم وعاداتهم من النسب والغنى على أمر الله وقضائه تعالى، فهو ملك الملوك يؤتي الملك من يشاء، وتربيتهم على قبول أمر الله تعالى على أي وجه كان

أما قولهم: ﴿ **وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ** ﴾، فلأن المال سبب لقوة الملك عادة، وبه يجمع قلوب الرجال، ويغلب أهل الأنفة [٤].

---

(١) ((التحرير والتنوير)) (٢/٤٩٠).

(٢) انظر: ((المحرر الوجيز)) (١/٣٣٢).

(٣) ((البحر المحيط)) (٢/٥٧٤).

(٤) انظر: ((المحرر الوجيز)) (١/٣٣٢).



المسألة الثالثة: غرض قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾ ووجه تخصيص العلم والجسم، وكونهما أنسب مما زعموه.

الجملة تقرير لأهليته للملك، رداً لطعنهم في استحقاقه للملك في قولهم: ﴿ وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ ﴾ أي أنه ليس من أهل بيت الملك، وأنه فقير، فرد عليهم بإثبات أهليته في أن الله اصطفاه، وفي كونه مهيأ للملك.

والمراد بالبسطة: اسم من البسط وهو السعة والانتشار، فالبسطة الوفرة والقوة من الشيء[1].

وإنما جاء بالوصفين في الآية في تقرير أهليته ليكونا في مقابل ما اعتبروا.

وتخصيصهما ظاهر المناسبة من وجوه:

أولاً: أن العلم هو سبب تدبير أمور الحرب والسياسة، ولا يمكن تدبير ذلك إلا به، فكان وصفاً لازماً للملك، وأما بسطة الجسم فلأنها سبب في القوة والهيبة في الجند وإرهاب الأعداء.

ثانياً: أن البسطة في العلم هي قوة الباطن، والبسطة في الجسم هي قوة الظاهر، فاكتمل له القوتان[2].

ثالثاً: أن العلم سبب لثبات الرأي ورسوخه، والجسم سبب للثبات في المعركة ورسوخ القدم فيها، وقدم الرأي لأنه أعظم في الثبات [3].

وكونهما أنسب لاستحقاق الملك من الوصفين الذين زعموا ظاهر من وجوه:

أولاً: أن العلم والقوة من باب الكمالات الحقيقية، والجاه والمال ليسا كذلك.

ثانياً: أن العلم والقوة متعلقان بذات الإنسان لا يمكن سلبهما منه، والجاه والمال أمران منفصلان عن ذات الإنسان، ويمكن سلبهما منه.

ثالثاً: أن العالم بأمر الحرب، القوي على المحاربة أعظم انتفاعاً في حفظ مصلحة الأمة ودفع شر الأعداء، من الرجل النسيب الغني لمجرد نسبه وعلمه [4].

فثبت بذلك أن تخصيص الوصفين أنسب لمقام الملك في أمر القتال مما زعموه؛ وفي ذلك دلالة على كمال المصلحة فيما يختاره الله ويأمر به، وهو توجيه للمؤمنين بالتزام ما يأمرهم به ويختاره لهم، وهو دال على السياق من هذا الوجه.

والآية متضمنة صفات القيادة والسياسة، وهي:

الأولى: الاستعداد الفطري، والتوفيق الإلهي المتمثل بتهيئة الرجل خَلقاً وخُلقاً، وإعداده ديناً وعقلاً.

الثانية: السعة في العلم الذي يكون به التدبير.

---

(١) انظر: ((التحرير والتنوير)) (٤٩٢/٢).

(٢) انظر:((الصواعق المرسلة)) (١٣٧/٤).

(٣) ((التحرير والتنوير)) (٤٩١/٢).

(٤) انظر: ((مفاتيح الغيب)) (١٤٨/٦).



الثالثة: القوة الجسدية، الباعثة على الشجاعة والقدرة على المدافعة، والهيبة [(١)].

وجاء الترتيب في الآية على أهميتها ومناسبتها للملك وحاجة القيادة والسياسة لها.

وفي تعداد أوصاف الملك، إرشاد من الله تعالى للأمة لأصول القيادة وشروطها.

وفي الجملة أصول من أصول الحرب:

أولاً: أن من لوازم الحرب الاستعداد والتهيؤ بالأسباب المشروعة، ولا يكفي في ذلك التعلق بمشيئة الله مع وجود الأسباب المشروعة، وإلا لاكتفى بذكر اصطفائه دون بيان صفاته، وهو إشعار للأمة بذلك[(٢)].

ثانياً: أن المعتبر في اختيار الأمير والقائد لا يكون بحسب نظر عامة الناس واعتباراتهم المادية، وإنما هي بحسب أهل الرأي والعقد فيهم واعتباراتهم الشرعية.

ثالثاً: أنه إذا اختير الأمير، أو القائد من قبل أهل الحل والعقد وهم أهل العلم والديانة لاعتبار الدين والعلم، فلا يجوز للعامة مخالفتهم لاعتبارات ومقاييس مادية.

رابعاً: أنه ينبغي لمن له الأمر في اختيار الأمير أن يبين أهلية من يختاره للإمارة وقدرته عليها، خاصة عند اعتراض الناس عليه.

المسألة الرابعة: وجه ختام الآية بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ختم الآية بالوصفين مناسب للسياق من جهة أن وصفه بالواسع للدلالة على أنه تعالى واسع الفضل والعطاء، يوسع على الفقير ويغنيه من فضله، وفي هذا رد عليهم بأن طالوت لم يكن على سعة من المال، وهو واسع التصرف والقدرة؛ إذا شاء أمراً اقتضته حكمته في نظام الخليقة فإنه يقع لا محالة[(٣)]، ووصفه بالعليم مناسب من جهة أنه دال على أنه تعالى عليم بوجوه الاختيار، ومن يستحق الملك، فلا اعتراض عليه، وهو أحكم الحاكمين[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[البقرة: ٢٤٨].

(١) انظر:((تفسير المنار)) (٤٧٨/٢).

(٢) ((تفسير المنار)) (٤٨٠/٢).

(٣) انظر: ((البحر المحيط)) (٥٧٦/٢) ((تفسير المنار)) (٤٨٠/٢).

(٤) انظر: ((تفسير القرآن العظيم لابن كثير)) (٦٦٦/١).



غرض الآية ومناسبتها لما قبلها .

غرض الآية تأكيد ملك طالوت بآية تدل على أن الله تعالى هو الذي اختاره لهم ملكاً، توثيقاً لنفوسهم على القبول والامتثال له.

قال ابن عاشور: "أراد نبيهم أن يتحداهم بمعجزة تدل على أن الله تعالى اختار لهم شاوول ملكاً، فجعل لهم آية تدل عليه وهي: أن يأتيهم التابوت، أي تابوت العهد، بعد أن كان في يد الفلسطينيين، وهذا إشارة إلى قصة تيسير الله إرجاع التابوت إلى بني إسرائيل بدون قتال" (١).

ولعل مناسبة الآية أن بني إسرائيل لما أخبرهم نبيهم بأن الله بعث لهم طالوت ملكاً تعنتوا وطلبوا آية على ملكه، فأخبرهم الله بذلك.

قال ابن جرير: "وهذا الخبر من الله تعالى ذكره عن نبيه الذي أخبر عنه، دليل على أن الملأ من بني إسرائيل لم يقروا ببعثة الله طالوت ملكاً؛ ولكنهم سألوه الدلالة على صدق ماقال لهم من ذلك" (٢).

وتأويل الطبري أشبه بأخلاق بني إسرائيل الذميمة، فإنهم أهل تكذيب وتعنت واعوجاج(٣).

دلالات الآية وهداياتها :

بالتأمل في الآية نجد أنها تتضمن دلالات وهدايات عظيمة تتعلق بالغرض العام للآيات ، تتبين بالمسائل التالية :

المسألة الأولى: وجه الإتيان بالتابوت.

الإتيان بالتابوت مناسب للسياق من وجوه:

أولاً: أن يكون آية على ملك طالوت، وأن الله تعالى هو الذي اختاره لهم.

ثانياً: أن يكون سبباً لسكينتهم وثباتهم في الحرب، ولهذا قال: ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

ثالثاً: أن يكون سبباً لنصرهم، ويدل عليه أن الآية في أمرهم بالقتال، وكانوا يستنصرون به ويقدمونه بين أيديهم في القتال فيكون سبباً لنصرهم وغلبتهم.

ويؤيد ذلك ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كانت الأنبياء إذا حضروا قتالاً قدموا التابوت بين أيديهم) (٤).

---

(١) ((التحرير والتنوير)) (٢/٤٩٢).

(٢) ((جامع البيان)) (٢/٦٢٠).

(٣) ((المحرر الوجيز)) (١/٣٣٢).

(٤) انظر: ((جامع البيان)) (٢/٦٢٣).



المسألة الثانية: وجه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

الجملة دالة على أن الإتيان بالتابوت على الوصف المذكور آية لهم، وهذا يؤيد أن التابوت نازل من السماء، وأن السكينة آية مستقلة فيه، وفي الآية إشعار لهم بأن هذا التابوت علامة على نصرهم في قتالهم [١].

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

<u>غرض الآية ومناسبتها لما قبلها .</u>

غرض الآية هو بيان وتفصيل اختبار طالوت للجنود لتمحيصهم وتهيئتهم وإعدادهم لملاقاة العدو، وإظهار مقام الصابرين منهم.

ومناسبة الآية ظاهرة من جهة أنها معطوفة على ما قبلها ودالة على إذعان القوم بعد أن أتاهم التابوت آية لهم؛ ولهذا فإن في الحديث حذفاً دل عليه السياق، وتقديره: فأتاهم التابوت فأطاعوا نبيهم فيه فملكوه وانتدبوه فخرج بهم إلى العدو، فلما فصل طالوت[٢]. وإنما حذف الكلام لأن الغرض أصلاً هو طلبهم نصب الملك عليهم لقتال الوثنيين كما دل عليه السياق، ومن بديع إيجاز القرآن أن يحذف الشيء ويأتي في السياق بما يدل عليه.

وهذه الآية تتضمن أصولاً من أصول الحرب والقيادة، وهي:

أولاً: تهيئة الجند للحرب باختبارهم وابتلائهم في الطاعة، وتمحيصهم من الحظوظ الدنيوية.

قال ابن عطية: "وهذه النزعة واجب أن تقع من كل متولي حرب، فليس يحارب إلا بالجند المطيع" [٣].

ثانياً: تربية القيادة المسلمة والمؤمنين جميعاً بالتحلي بالصبر والثبات في الجهاد مهما تخلى الضعفاء، وانهزم الرعاع، ومهما قل عددهم؛ فإن النصر مع الصبر.

ثالثاً: اختبار الطاعة والعزيمة في نفوس الجنود قبل المعركة، وعدم الاغترار بالحماس الظاهر، وعدم الاكتفاء بالتجربة الأولى[٤].

---

(١) انظر: ((البحر المحيط)) (٢/٥٨٥).

(٢) انظر: ((نظم الدرر)) (٣/٤٢٦).

(٣) ((المحرر الوجيز)) (١/٣٣٤).

(٤) ((في ظلال القرآن)) (١/٢٦٢).



دلالات الآية وهداياتها :

بالتأمل في الآية نجد أنها تتضمن دلالات وهدايات عظيمة تتعلق بالغرض العام للآيات ، تتبين بالمسائل التالية :

المسألة الأولى : حكمة ابتلائهم بالنهر.

ابتلاء طالوت والجنود بالنهر لوجوه:

أولاً: أنه لما كان القتال بسبب طلبهم، كان المناسب ابتلاءهم لمعرفة صدقهم، واختبارهم في الصبر والتحمل، فبمقدار تحملهم لشدة العطش يكون مقدار تحملهم لشدة البطش في الحرب.

ثانياً: أنه كان مشهوراً من بني إسرائيل أنهم يخالفون الأنبياء والملوك مع ظهور الآيات الباهرة، فأراد الله تعالى إظهار علامة قبل لقاء العدو يتميز بها من يصبر على الحرب ممن لا يصبر[(١)].

ثالثاً: اختباراً لهم على الطاعة والانقياد.

قال ابن عطية: "ومعنى هذا الابتلاء أنه اختبار لهم، فمن ظهرت طاعته في ترك الماء، علم أنه يطيع فيما عدا ذلك" [(٢)].

رابعاً: أنهم قوم أهل ترف، ولا يمكن لأهل الترف تحمل الشدائد، فابتلاهم بالنهر والصبر على الماء، لمعرفة مدى استعدادهم لترك الترف؛ ولذلك شربوا منه وقعدوا عن الحرب. وذلك هو شأن النفوس المتربية على النعيم والترفه.

وذكر بعض المفسرين أن ابتلاءهم بالنهر؛ لأنهم شكوا إليه قلة مائهم، وسألوه أن يجري بينهم وبين عدوهم نهراً، فأجراه، وابتلاهم به [(٣)].

وهذا الوجه لا دلالة عليه في السياق؛ بل إن النهي عن الشرب عنه ينافيه؛ إذ كيف يحقق طلبهم ثم يمنعهم منه.

المسألة الثانية: غرض قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ ﴾

غرض الجملة المبالغة في التحذير من الشرب، والزجر عن المخالفة. ويؤيد هذا السياق من وجهين:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ فَلَيۡسَ مِنِّي ﴾ أي ليس من أهل طاعتي وأصحابي في هذه الحرب[(٤)]، وفي هذا مبالغة في الزجر [(٥)].

(١) ((مفاتيح الغيب)) (١٥٢/٦).

(٢) ((المحرر الوجيز)) (٣٣٤/١)

(٣) انظر: ((جامع البيان)) (٦٣٢/٢).

(٤) انظر: ((الجامع لأحكام القرآن)) (٢٥٢/٣/٢).

(٥) انظر: ((مفاتيح الغيب)) (١٥٣/٦).



ثانياً: قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ ﴾ دون (يشرب منه) مبالغة في النهي وسداً للذريعة من جهة أنه يشمل الذوق وإدخال الماء إلى الفم دون شربه.

قال ابن عطية: "وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ ﴾ سد للذرائع... ولهذه المبالغات لم يأت الكلام: (ومن لم يشرب منه)" (١).

وقال القرطبي: "استدل علماؤنا بهذا على القول بسد الذرائع"(٢).

المسألة الثالثة: وجه الاقتصار في العفو على الغرفة. ودلالته.

الاقتصار في العفو عليها دون الإذن بالشرب مع الحاجة للماء، لوجوه:

أولاً: أن تكون قاطعة لضرر العطش، ولذلك قيل: إن الله جعل فيه البركة، فكانت كافية لسد العطش وذهابه.

ثانياً: الدلالة على صدق التحمل والصبر، وارتفاع الهمة عن الرفاهية والرغبة فيها.

قال ابن عطية: "وبَيِنٌ أن الغرفة كافة ضرر العطش عند الحزمة الصابرين على شظف العيش الذين هممهم في غير الرفاهية" (٣).

ثالثاً: قطع طمعهم وحاجتهم؛ إذ النفس إذا تعلقت بشيء لم تستطع فراقه إلا بما يقطع طمعها؛ ولهذا جعل الأمر على مرتبتين المرتبة الأولى: عدم الطعم منه كلياً، والثانية بالطعم شربة واحدة، ففيه مراعاة للنفوس الضعيفة لشدها إلى الصبر.

وقد روي عن ابن عباس أنهم شربوا على قدر يقينهم، فشرب الكفار شرب الهيم، وشرب العصاة دون ذلك، وبقي بعض المؤمنين لم يشرب شيئاً، وأخذ بعضهم الغرفة، فأما من شرب فلم يرو بل برّح به العطش، وأما من ترك الماء فحسنت حاله وكان أجلد ممن أخذ الغرفة(٤).

وهذا المعنى دال على عدة أصول من أصول الحرب والتهيئة لها:

أولاً: أن على قيادة الأمة حين تريد خوض حرب مع العدو، أن تهيء الجنود وتربيهم على ترك التنعم والترفه، وتضع لهم اختبارات في ذلك.

ثانياً: أنه يجب على الأمة أن تتخلى عن الترفه والتنعم في أوقات حروبها مع أعدائها؛ لأنها لن تستطيع تحمد الشداد وتكاليف الحرب.

---

(١) ((المحرر الوجيز)) (٣٣٥/١).

(٢) ((الجامع لأحكام القرآن)) (٢٥٢/٣/٢).

(٣) ((المحرر الوجيز)) (٣٣٥/١).

(٤) انظر: ((المحرر الوجيز)) (٣٣٥/١) ، ((الجامع لأحكام القرآن)) (٢٥٤/٣/٢).



ثالثاً: أن امتحان الإنسان في الصبر عن الرفاهية وحب الركون للدنيا والرغبة في الملذات فيها، تربية له على الصبر على الشدائد وهذا ظاهر؛ فإن صبر الإنسان في حال الرخاء دليل على صبره في حال الشدة، أما من كان راغباً في الرفاهية، مائلاً للملاذ والمآكل، كان أضعف الناس في التحمل، وعدم الصبر على الشدائد.

رابعاً: أن الامتحان يجب أن يكون فيه تحفيز للكمال، وإتاحة فرصة لمن ضعفت نفسه عن الكمال؛ ولهذا جعل طالوت فرصة للشرب بغرفة واحدة.

المسألة الرابعة: غرض قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ والتعبير به دون ذكر بوصف الإيمان.

غرض الجملة بيان حال الصابرين الصادقين، وهو استشعارهم معية الله تعالى واعتبار نصره وتأييده وتمكينه لعباده المؤمنين دون اعتبار القلة والكثرة، وهذا توجيه عظيم للأمة.

والتعبير عن المؤمنين بهذا الوصف مناسب للسياق من وجهين:

أولاً: الدلالة على قوة صبرهم ويقينهم بوعد الله تعالى، ولو عبر عنهم بوصف الإيمان لما ظهر هذا المعنى.

ثانياً: أن فيه دلالة على سبب ثباتهم وهو اعتقادهم لقاء الله، ورغبتهم في الشهادة مع الإيمان[١].

وفي هذه الجملة أصل من أصول الحرب وهي أن أعظم أسباب الصبر اليقين بالله تعالى وبوعده، واستحضار الشهادة أو النصر. وهذا سر قوة أهل الإسلام في حروبهم، وصمودهم أمام عدوهم، مع كثرة عدد عدوهم وعدتهم.

المسألة الخامسة: وجه التعبير بالظن دون اليقين في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ والمراد بلقاء الله.

التعبير بالظن مناسب من جهة أن الظن هنا دال على عزيمتهم على الشهادة، وهو دليل صدق ثباتهم لتغليبهم جانب الموت على الحياة [٢].

قال ابن عطية: "وظن لقاء الله يحسن أن يكون ظناً على بابه، أي يظنون أنهم يستشهدون في ذلك اليوم، لعزمهم على صدق القتال، كما جرى لعبد الله بن حرام في يوم أحد، ولغيره" [٣].

ولقاء الله يحتمل أن يكون المقصود به الموت، أو الثواب، أو النصر [٤].

---

(١) ((تفسير المنار)) (٢/٤٨٨).

(٢) انظر: ((مفاتيح الغيب)) (٦/١٥٦).

(٣) ((المحرر الوجيز)) (١/٣٣٦).

(٤) انظر: ((المحرر الوجيز)) (١/٣٣٦) ، ((مفاتيح الغيب)) (٦/١٥٦).



والأولى أن يقال يظنون إما الشهادة أوالنصر والأجر، وذلك للدلالة على صدقهم وثباتهم وقوة إيمانهم، وهو المقصود في السياق.

المسألة السادسة: غرض قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ووجه التعبير بقوله تعالى: ﴿ غَلَبَت ﴾ دون أطاقت. والمراد بإذن الله.

غرض الجملة التحريض والحض على القتال، وعدم اعتبار الكثرة والقلة في مقاس النصر والهزيمة.

قال ابن عطية: "وفي قولهم رضي الله عنهم ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾ الآية، تحريض بالمثال، وحض واستشعار للصبر، واقتداء بمن صدق ربه" [(١)].

وعبر بقوله تعالى: **(غلبت)** دون أطاقت دال على كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه[(٢)].

وإذن الله هو أمره، فإن الأمر كله لله، ومن ذلك النصر والتأييد والتيسير.

وفي هذه الجملة أصل من أصول السياسية الحربية، وهو اعتبار معية الله وتأييده في قتال العدو دون اعتبار القلة والكثرة. وهو توجيه عظيم للمؤمنين، ولا شك أن هذا التوجيه مقصود به أولاً الصحابة في تهيئتهم لبدر وتوطين نفوسهم على القتال، وهو غرض الآيات كلها أصلاً.

وفيها أيضاً درس عظيم وقاعدة مهمة للمؤمنين، وهي أن الفئة القليلة المؤمنة تغلب الفئة الكثيرة الكافرة؛ إذا توفرت فيها الشروط وهي التوكل والاعتماد على الله والصبر والثبات والاتحاد وطاعة القائد؛ لأن نصر الله مع الصابرين، وهذه سنة شرعية ثابتة، ولهذا قال: ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

وفيها أيضاَ أن الإيمان بالله واليقين بالنصر أو الشهادة من أعظم أسباب الصبر والثبات، وهو سبيل الشهادة أو النصر، وذلك أن اليقين بالشهادة أو النصر يقين بعاقبة حسنة تدفعه إلى السعي لتحقيقها؛ لأن الظفر سبيل لإعزاز مكانة الدين، والشهادة سبيل لإعزاز مكانة المجاهد ورفع درجته في الجنة.

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

غرض الجملة ومناسبتها للسياق.

غرض الجملة هو بيان حالِ القوم، حالَ مواجهة العدو، في ثباتهم والتجائهم إلى الله تعالى.

وفي الآية دلالة على أصل من أصول الحرب وهو ضرورة التوجه إلى الله بالدعاء، وأن الدعاء من أسباب النصر؛ ولهذا عطف على الآية مباشرة قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

(١) ((المحرر الوجيز)) (٣٣٦/١).

(٢) انظر: ((إرشاد العقل السليم)) (١/ ٢٨٣).



وفي هذا توجيه للمؤمنين بأن يكون هذا حالهم عند اللقاء، كما قال الله تعالى في ذلك: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال ٤٥].

دلالات الآية وهداياتها :

مسألة: وجه دعائهم بطلبهم الصبر والثبات والنصر جميعاً. ووجه الترتيب بينها.

دعاؤهم بطلب الأمور الثلاثة مناسب للسياق من جهة أنه دال على كمال توجههم إلى الله واعتمادهم عليه، بطلب معونته لهم في الأحوال كلها.

والتعبير في الآية دال على كمال الطلب من وجوه:

أولاً: التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن كمال التضرع والعبودية(١).

ثانياً: التعبير بالإفراغ؛ إذ الإفراغ هو تمام الإخلاء، والمعنى: اصبب علينا الصبر أتم صب وأبلغه، وهو مناسب لحالهم في ابتلائهم بالنهر من حيث أنه جعل إفراغ الصبر بمنزلة إفراغ الماء الذي منعوا منه (٢).

ثالثاً: التعبير بعلى المشعر بجعل ذلك كالظرف، وجعلهم كالمظروفين للصبر.

رابعاً: تنكير صبراً المتضمن معنى التأكيد والتفخيم.

خامساً: طلبهم تثبيت الأقدام، الدال على طلب كمال الثبات والرسوخ، حتى لا يفروا، وحتى تكون ضرباتهم بالعدو موجعة(٣)، وهي مناسبة لما قبلها، وذلك أنهم لما سألوا ما يكون مستعلياً عليهم من الصبر، سألوا في مقابل ذلك تثبيت أقدامهم وإرساخها(٤).

سادساً: أنهم جاءوا بالوصف المقتضي لخذلان أعدائهم، وهو الكفر في قولهم: ﴿ وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾، مبالغة في طلب النصر عليهم.

فظهر بذلك أن دعاءهم جاء على أكمل أسلوب وأبلغه، وهو دال على كمال التعبير القرآني.

قال الألوسي: "وفي هذا الدعاء من اللطافة وحسن الأسلوب والنكات ما لا يخفى"(٥).

أما وجه الترتيب بين الأمور الثلاثة فظاهر، من جهة: أنهم طلبوا أولا إفراغ الصبر على قلوبهم عند اللقاء، وهو ملاك الأمر وسبب لما بعده، ثم طلبوا ثانياً ثبات أقدامهم وذلك باعث على عدم

(١) ((البحر المحيط)) (٥٩٢/٢).

(٢) ((مفاتيح الغيب)) (١٥٨/٦).

(٣) انظر: ((نظم الدرر)) (٤٣٦/٣).

(٤) انظر: ((البحر المحيط)) (٥٩٢/٢).

(٥) ((روح المعاني)) (٧٦٩/١).



الفرار والتولي، ثم طلبوا ثالثاً النصر على العدو؛ لأنه العمدة؛ إذ المقصود من المحاربة هو النصرة على الخصم، فكان الترتيب بينها مناسباً [1].

والجملة دالة على أصل من أصول الحرب وهي الأمور المطلوبة للمحارب للثبات والنصر. وهي:

أولاً: أن يكون الإنسان صبوراً على مشاهدة المخاوف والأمور الهائلة، وهذه هي المرتبة الأولى التي يدل عليها قوله تعالى: ﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾.

ثانياً: أن يتوفر له ما يكون عماداً لثباته وعدم فراره من التوفيق الإلهي والوسائل المعينة، وهذه هي المرتبة الثانية التي يدل عليها قوله تعالى: ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾

ثالثاً: أن تزداد قوته على قوة عدوه حتى يتمكن منه ويغلبه، وهذه هي المرتبة الثالثة، وهي ما يتضمنه قولهم: : ﴿ وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .

<u>غرض الآية ومناسبتها لما قبلها .</u>

غرض الآية بيان تحقق النصر لطالوت على جالوت وقومه، وتمكين الله لداود، وتفضيله، إشعاراً بتفضيل الله لنبيه محمد ﷺ ولهذا قال بعدها:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾، وإشعاراً للمؤمنين بتأييد الله لهم حال قتالهم لعدوهم، وتبشيراً لهم بتمكنهم من عدوهم وقتل صناديدهم، وتمكين دولتهم، وهذا ظاهر في غزوة بدر؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .

فالآية على هذا دالة على الغرض العام، وهو تحريض المؤمنين على القتال، وهي متضمنة الوعد بالنصر والتمكين، وهو ما وقع في غزوة بدر التي سماها الله يوم الفرقان

(١) انظر: ((أنوار التنزيل)) (١٣٢/١).

(٢) انظر: ((مفاتيح الغيب)) (١٥٨/٦).



قال البقاعي: "قال الحرالي: إذا نوظر هذا الإنباء.. بما تولى الله من أمر هذه الأمة في جيشهم الممثول لهذا الجيش.. علم عظيم فضل الله على هذه الأمة، واستشعر بما يكون لها في خاتمتها مما هو أعظم نبأ وأكمل عياناً، فلله الحمد على ما أعظم من فضله ولطفه" [١].

دلالات الآية وهداياتها :

بالتأمل في الآية نجد أنها تتضمن دلالات وهدايات عظيمة تتعلق بالغرض العام للآيات ، تتبين بالمسائل التالية :

المسألة الأولى: غرض قوله تعالى: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾

غرض الجملة الدلالة على كمال ملك بني إسرائيل بعد قتالهم لجالوت، وتمكن دولتهم. وفي ذلك إشعار للمؤمنين بأنهم بقتالهم لعدوهم سيبلغون كمال الملك والدين، وتبشير للنبي ﷺ برفع درجته، وأنه سيؤتيه الملك والحكمة، ويدل السياق على ذلك من قوله بعد ذلك: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ كما يدل عليه قوله بعد ذلك﴿ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٍ﴾ . وقد تحقق الفضل للنبي، وتحقق النصر والتمكين والرفعة للأمة.

والتصريح بقتل داود لجالوت الذي هو زعيم العمالقة فيه تحريض للمؤمنين على قتال عدوهم، وتبشيرهم بقتلهم لصناديدهم وتمكين دولتهم؛ ولهذا أخبر النبي ﷺ بقتل صناديد قريش قبل المعركة ووعده الله النصر عليهم، وقد قتل المؤمنون صناديد الكفر في بدر فكان فاتحة لهم لوراثة ملكهم، بعد ست أو سبع سنين في فتح مكة؛ لكن هزيمتهم في بدر كانت بداية لذلك، فدل هذا على أن هزيمة جالوت في المعركة بداية لملك داود، ولم يكمل إلا بعد مدة تخللها قتال معهم بلغ سبع سنين كما تقول الروايات. والله أعلم.

المسألة الثانية: المراد بالملك والحكمة، ووجه تخصيصهما.

المراد بالملك هو السلطان، والحكمة هي النبوة[٢].

وتخصيصهما فيه إشارة إلى أن داود أوتي ملك طالوت ونبوة شمعون بعد ذلك، ويؤيده أنه أخر قوله تعالى: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾، وكان حقها التقدم على قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم

(١) ((نظم الدرر)) (٣/٤٣٣).

(٢) انظر: ((جامع البيان)) (٢/٦٤٥).



بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾لأن الهزيمة مترتبة على قتل جالوت، وإنما قدم الجملة الأولى للإخبار عن هزيمتهم، وأخر الجملة الثانية للإخبار عن ملك داود، فدل ذلك على أن الإيتاء بعد الهزيمة؛ لأنه لابد من غرض في تأخرها، وهو ما ذكرت. والله أعلم. وهو معنى دقيق لا يظهر إلا بالسياق.

قال الرازي: "وقال الأكثرون: إن حصول الملك والنبوة له تأخر عن ذلك الوقت بسبع سنين على ما قاله الضحاك؛ لأن الله تعالى كان قد عين طالوت للملك فيبعد أن يعزله عن الملك حال حياته، والمشهور في أحوال بني إسرائيل أنه لما توفي اشمويل أعطى الله تعالى النبوة لداود، ولما مات طالوت أعطى الله الملك لداود، فاجتمع الملك والنبوة فيه"[1].

المسألة الثالثة: وجه قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ .

ورود الجملة في سياق تحريض المؤمنين، وتهيئتهم للقتال، وتبشيرهم بالنصر على عدوهم، وكمال ملكهم، وعلوهم في ذلك دال على أمور منها:

أولاً: تحريض الأمة على العلم والحث عليه، وأنه سبب لبلوغ المراتب العالية، ويؤيده ورود الجملة في سياق الإخبار عن علو شأن داود وإكرامه بعد قتل جالوت.

قال الرازي: "لم ذكر بعده ﴿ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ قلنا: المقصود منه التنبيه على أن العبد قط لا ينتهي إلى حالة يستغني عن التعلم، سواء كان نبياً أو لم يكن؛ ولهذا السبب قال لمحمد ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا ﴾ [طه١١٤]" [2].

والآية على هذا دليل على أن العلم سبب للرفعة كما قال تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة ١١].

ثانياً: الحض والتحريض على العلم بوسائل الحرب وآلاته، وأن ذلك سبب لتحقيق النصر والتمكن من العدو، كما يدل عليه ورود الجملة في سياق القتال وبعد ذكر قتله لجالوت، وتخصيص تعليم داود مع إيتائه الملك والحكمة الذي يدل على أن المقصود تعليمه آلة الحرب، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡ ﴾ **[الأنبياء٨٠]**، وهذا سر تخصيص تعليمه في الآية مع ذكر الملك والحكمة، والله أعلم.

(١) ((مفاتيح الغيب)) (٦/١٦٠).

(٢) ((مفاتيح الغيب)) (٦/١٦١).



وعلى هذا فالجملة تتضمن أصلاً عظيماً من أصول الحرب، وسبباً من أسباب النصر والتمكن من العدو، وهو العلم بأدوات الحرب ووسائله وآلاته وطرقه، كما يؤيده ذكر تعليم داود بعد الإخبار عن قتل داود لجالوت، مما يدل على أن من أسباب قتله تعليم الله له، ومما علمه الله إياه آلات الحرب.

وهذه المعاني دقيقة جليلة لا تظهر إلا بالتأمل في السياق ودلالاته، ولم أجد أحداً من المفسرين تنبه لها، وهذا يدل على منزلة السياق وأهميته في دلالات الآية.

المسألة الرابعة: وجه الإخبار بإتيان داود الأمور الثلاثة بعد قتله لجالوت. ووجه تخصيصها.

الإخبار بذلك وتخصيص الأمور الثلاثة مناسب للسياق من وجوه:

أولاً: الدلالة على فضيلة الأمور الثلاثة، وأن اجتماعها سبب لاستتباب أمر العالم، وتحقق النصر والتمكين، والعلو والرفعة؛ ولذلك حقق الله النصر لنبي إسرائيل حين اجتمع لهم الملك والحكمة، وتحقق لهم العلو بتحقق الأمور الثلاثة في عهد داود وسليمان.

قال الألوسي: "وفي هذا تنبيه على فضيلة الملك، وأنه لولاه ما استتب أمر العالم، ولهذا قيل: الدين والملك توأمان ففي ارتفاع أحدهما ارتفاع الآخر؛ لأن الدين أس، والملك حارس، وما لا أس له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع"(١).

ثانياً: الدلالة على أن سبيل تحقيق الأمور الثلاثة يكون بالجهاد؛ ولذلك آتاها الله داود حين قتل جالوت، وحققها لبني إسرائيل جميعاً حين قاموا بالجهاد، ويشهد لذلك قوله في آخر الآية: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ** ﴾ أي لولا الجهاد لحصل مقابل ذلك من علو الكافرين وذلة المؤمنين, وضعف الخير والدين وانتشار الشر والكفر. ففي ذلك تحريض للمؤمنين على القتال لتحقيق هذا الفضل العظيم والمنزلة العالية.

ثالثاً: الوعد والتبشير والتعريض بالنصر على الكفار في بدر، وقتل صناديدهم، وذلك لتحقق تلك الأوصاف في محمد ﷺ، فقد آتاه الله الملك بالخلافة، والحكمة بالنبوة، والعلم بالكتاب والسنة، وفي هذا تحريض للصحابة للقتال مع النبي ﷺ ووعده لهم بنصرهم وتبشيره لهم بقتل صناديدهم.

رابعاً: الدلالة على تحقق الأمور الثلاثة للأمة في مستقبلها؛ لأن الآية واردة في مخاطبة المؤمنين توجيهاً ووعداً، وقد تحقق ذلك لأمة الإسلام في العصور المفضلة إلى يومنا هذا حسب قيام الأمة بالجهاد، ودلت الأدلة على كمال تحققه:

---

(١) ((روح المعاني)) (٧٧١/١).



فأما الملك فيدل عليه قوله ﷺ: (عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**"(١) **أخرجه مسلم.**

وأما النبوة وهي متمثلة بالدين فيدل عليه قوله ﷺ: "**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر**"(٢).

وأما العلم فظاهر من قوله تعالى: امتناناً على المؤمنين: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ١٥١]، ويشهد الواقع لذلك فقد بلغت أمة محمد ﷺ من العلم ما لم تبلغه أمة من الأمم.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: بعدها: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إشعاراً بتفضيل الأمة على العالمين.

المسألة الخامسة: غرض قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ **ومناسبتها للسياق.**

غرض الجملة هو بيان مصالح الجهاد وأثره في كونه سبباً لدفع الفساد والمفسدين في الأرض، وفي ذلك تحريض للمؤمنين على دفع فساد المشركين بقتالهم.

قال صاحب المنار: "بيّن حكمة الإذن بالقتال الذي قررته الآيات، فقال: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ** ﴾ " (٣).

ومناسبة الجملة للسياق ظاهرة من جهة أنه لما بيّن تحقيق النصر وتمكن الدين وعلو المؤمنين بالقتال، بيّن أنه سبب لدفع الشر والكفر، ورفع الذل عن المؤمنين؛ فكأنه قال: بالقتال تحقيق للنصر ودفع للشر، ومن الشر الذل يصيب المسلمين بتسلط أعدائهم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ **[الأنفال ٧٣]**. والضمير في قوله تفعلوه راجع إلى نصرة المؤمنين ومدافعة الكافرين. فالجملة تحريض للمؤمنين ببيان مصالح القتال وحكمه.

قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢١٥/٤ برقم ٢٨٨٩ و أبو داود ٤٩٩/٢ برقم ٤٢٥٢

(٢) رواه أحمد ١٠٣/٤ وابن حبان ٩٣/١٥ وقال الأرنؤوط صحيح على شرط مسلم

(٣) ((تفسير المنار)) (٤٩١/٢).



غرض الآية ومناسبتها لما قبلها .

الآية تتضمن غرضين مهمين:

الأول: الدلالة على صدق نبوة محمد ﷺ بالإخبار بهذه القصص والحوادث عن بني إسرائيل التي لا يعلمها إلا القليل من علماء بني إسرائيل؛ ولذلك افتتحت القصة بقوله تعالى: **(ألم تر)** واختتمت بهذه الآية، ونص على أنها حق من ربه بقوله تعالى: (نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ)، ونص في ختام الآية على إثبات الرسالة له ﷺ.

الثاني: الدعوة إلى الاعتبار بهذه الآيات والقصص، وتربية النفوس وتهيئتها للجهاد، والإشارة إلى حصول القتال مع المشركين الذي به تتحقق رسالة محمد ﷺ ويبلغ دينه ويمكن له في الأرض، وهذا ظاهر في سياق الآيات من أولها.

قال ابن عطية: "وفي هذه القصة بجملتها مثال عظيم للمؤمنين ومعتبر، وقد كان أصحاب محمدﷺمعدين لحرب الكفار، فلهم في هذه النازلة معتبر، يقتضي تقوية النفوس والثقة بالله وغير ذلك من وجوه العبرة" [١].

دلالات الآية وهداياتها :

بالتأمل في الآية نجد أنها تتضمن دلالات وهدايات عظيمة تتعلق بالغرض العام للآيات ، تتبين بالمسائل التالية :

المسألة الأولى: وجه ختم القصة بهذه الآية.

ختم القصة بهذه الآية دال على أمرين:

أولاً: وراثة النبي ﷺ لملك بني إسرائيل ونبوتهم، ووراثته ﷺ للفضل والمرتبة العالية على الأنبياء، ولذلك قال بعدها: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ إشارة إلى النبي ﷺ.

ثانياً: إشعار الأمة أنها الأمة الحق، وأن الله تعالى فضلها على العالمين، وأنها سترث ملك بني إسرائيل.

المسألة الثانية: وجه ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

ختم الآية بالجملة مناسب من وجوه:

أولاً: الدلالة على صدق نبوته بالإخبار بهذه القصص من غير تعلم ولا دراسة[٢].

---

(١) ((المحرر الوجيز)) (٣٣٨/١).

(٢) ((نظم الدرر)) (٤٤٨/٣).



ثانياً: تسلية النبي ﷺ فيما يواجهه من مخالفة أهل الكتاب والمنافقين، كأنه قال: إنك قد عرفت بهذه الآيات ما جرى للأنبياء في بني إسرائيل من الخلاف عليهم، فلا يعظم عليك مخالفة أهل الكتاب والمنافقين وكفرهم، فإنك من المرسلين [١].

ثالثاً: تأنيس النبي ﷺ وتطمينه بأن الله ناصره كما نصر المرسلين؛ كأنه قال إني ناصرك مثلهم فإنك من المرسلين. ويؤيد ذلك ذكر قتل داود لجالوت في قصة طالوت، وإيتائه الملك والحكمة بعد ذلك، كما يشهد لذلك الشبه بين قصة رمي داود لجالوت بالحجارة، ورمي النبي ﷺالمشركين بالتراب، فأما في قصة طالوت فقد دل عليها ما جاء في بعض الأسفار وهو قوله: (ومد داود يده إلى الكنف، وأخذ منه حجراً ورماه بالمقلاع وضرب الفلسطيني في جبهته فارتز الحجر في جبهته، وسقط على وجهه على الأرض)[٢]. وأما في قصة بدر فقد دل عليها قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ **[الأنفال ١٧]**. ففي ذلك إشارة بنصر الله لنبيه ﷺعلى المشركين في بدر وقتل صناديدهم، وهو ما وقع وصدق الواقع الخبر.

(١) انظر: ((مفاتيح الغيب)) (٦/١٦٤).

(٢) انظر: ((محاسن التأويل)) (١/٥٩٦).



فهرس المصادر والمراجع

١) الإستيعاب في بيان الأسباب ... سليم بن عيد الهلالي ,محمد بن موسى آل نصر طبعة دار ابن الجوزي , الدمام الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

٢) أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن:محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي، طبعة دار عالم الفوائد مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ

٣) البحر المحيط في التفسير: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، عناية عرفات العشا حسونه، زهير صعيد، محمد صديق جميل طبعة دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

٤) بدائع التفسير الجامع التفسير الإمام أبن قيم الجوزي جمع وتوثيق يسرى السيد محمد طبعة دار أبن الجوزي الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

٥) التحرير والتنوير:محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر الدار الجماهيرية للنشر ١٩٨٤

٦) تفسير أبي السعود: (أشار العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) طبعة دار الفكر ،أبو السعود محمد بن محمد مصطفى العمادي الحنفي

٧) تفسير البيضاوي:(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)ناصر الدين أبي سعيد ، عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، ت ،٧٩١هـ طبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٨) تفسير الشعراوي ... محمد متولي الشعراوي , مطابع أخبار اليوم القاهرة ١٩٩٤م

٩) تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ.

١٠) تفسير القاسمي: (محاسن التأويل)، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، عناية وتصحيح هشام سمير البخاري طبعة مؤسسة التاريخ العربي بيروت، الطبعة

١١) تفسير القرآن العظيم:أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي محمد السلامة،طبعة دار طيبة الرياض الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

١٢) تفسير القرآن: عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشفي الشافعي تحقيق عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الوهيبي بدون دار طبع ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ١٩٩٦م

١٣) التفسير الكبير: مفاتيح الغيب:فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م



١٤) تفسير المنار:(تفسير القرآن الحكيم)محمد رشيد رضا طبعة دار المعرفة بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

١٥) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي تحقيق يوسف على بديوي طبعة دار الكلم الطيب بيروت , الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

١٦) الجامع لأحكام القرآن :لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،عناية وتصحيح هشام سمير البخارى،طبعة دار علم الكتب،١٤٣٢هـ.

١٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:شهاب الدين أبو العباس أحمد بين يوسف السمين ،تحقيق أحمد بن محمد الخراط ،طبعة دار القلم دمشق ١٤١٥هـ

١٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور . جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي طبعة دار الكتب العلمية بيروت , الطبعة الأولى ١٤١١هـ

١٩) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز:لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالخطيب الاسكافي ،طبعة دار أبن كثير دمشق، الطبعة الثامنة ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م

٢٠) دقائق التفسير الجامع لتفسير شيخ الإسلام أبن تيمية: جمع محمد السيد الجليذ ،طبعة مؤسسة علوم القرآن دمشق ،الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ

٢١) روح المعاني: في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، ت ١٢٧٠هـ طبعة دار أحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي بيروت تحقيق محمد بن أحمد بن الأمد ، وعمر عبدالسلام السلامي الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٢٢) زاد المسير في علم التفسير:أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ،طبعة المكتبة الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م

٢٣) العجاب في بيان الأسباب. أبو الفضل أحمد بن على بن حجر االعسقلاني تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس طبعة دار ابن الجوزي الدمام ١٤١٨هـ

٢٤) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي جمع خالد عثمان السبت, طبعة دار عالم الفوائد مكة المكرمة , الطبعة الثانية ١٤٢١٦هـ

٢٥) الفتاوى الكبرى: ابن تيمية تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا،طبعة دار الكتاب العلمي بيروت ١٤٢٢هـ



٢٦) في ظلال القرآن: سيد قطب طبعة دار الشروق، الطبعة الخامسة عشر ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٢٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في جودة التأويل: محمد بن عمر الزمخشرى طبعة دار الكتاب العربي بيروت ضبط وتصحيح مصطفى حسين أحمد الطبعة الثالثة ١٩٨٧م – ١٤٠٧هـ

٢٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد

٢٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبدالحمر بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

٣٠) معاني القرآن وإعرابه ..ز أبو إسحاق بن السري بن سهل الزجاج تحقيق عبد الجليل شلبي طبعة عالم الكتب بيروت ١٤٠٨

٣١) معجم مقاييس اللغة ..ز أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام هارون, طبعة دار الجيل بيروت ١٤٢٠هـ

٣٢) ملاك التأويل القاطع بذوي الإحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أبي التنزيل أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ، تحقيق سعيد الفلاح طبعة دار العرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٣٣) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي , تحقيق عبد الله دراز طبعة دار المعرفة بيروت

٣٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

